

عندما يكون الطلاق قدراً مقدوراً

يقول الحق (عز وجل): ﴿وَالْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨].



تمهيد:

كانت البحيرة ساكنة ساجية . . تسر الناظرين . . وتشبع الأكلين .
وفجأة قذفها غلام بحجر . . فتغير كل شيء . . وهكذا كانت الأسرة: كانت
آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان: رزقها المادي ورزقها المعنوي
على سواء .

وعلى غير ميعاد . . هبت العاصفة . . فتغير كل شيء: الذي كان وئاماً
صار خصاماً . . والذي كان انسجاماً . . صار تنافراً وانفصاماً . . وكان لابد
من تناول آخر جرعة في قارورة الدواء وهي:

الطلاق . . وآخر الدواء الكي . . وإذا كانت لسعة النار مؤلمة . . لكنها
تأتي في أوانها . لتضع حداً لمسلسل المتاعب . . ولتفض الاشتباك بين
زوجين . . يتاح لكل واحد منهما أن يعيد ترتيب حياته من جديد . . على ما
يقول (سبحانه وتعالى): ﴿وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ﴾ [النساء: ١٣٠].

لقد ظهر . . وبعد المعاشرة أن «تعاضد» الطرفين . . وتعاونهما: غير
ممکن . . وإنما كان كل طرف منهما سهماً كان «عاضداً» أي: إن وقع عن

يمين الهدف . . أو عن يساره . . فلم يصب أحدهما الهدف . . وإذا كانت «العضادة» هي جانب العتبة من الباب . فقد كان المتوقع طبق الميثاق الغليظ أن يتكاملا . . ليحقق الله (تعالى) بتكاملهما مقصود الزواج . . لكن الذي حدث أن جانبي النافذة كان «يميناً» لا ينسجم مع «يمين» آخر والأمر في حاجة إلى يمين . . ويسار معاً ليتم المقصود الأصلي من الزواج . . فكان من الحكمة أن يتفرقا . . ليجد كل طرف نصفه الضائع . . والذي يكون به واحداً صحيحاً!!

وإذن . . فالطلاق هو عين الوفاق إذا تجمعت أسبابه . ثم فرضت نفسها فرضاً . يقول العقاد:

(شريعة القرآن الكريم في مسألة الطلاق شريعة دين ودنيا . . وكل ما اشتملت عليه من حرمة الدين . . تابع لما شرع له الزواج من المصلحة النوعية . والمصلحة الاجتماعية . فليس مما يبيحه الإسلام أن يتجرد الزواج من مصلحته النوعية والاجتماعية . . تغليباً للصبغة العبادية عليه . . على مشيئة الأزواج . وفي هذه الشريعة القرآنية تتوافر جميع الرخص المفيدة التي لجأت إليها أمم الحضارة لتيسير العلاقة بين الزوجين مع المحافظة على الآداب الاجتماعية . ولكنها شريعة إسلامية تنظر إلى طبائع الرجال والنساء . وتتجنب التشديد الذي لا يُجدي شيئاً في المحافظة على قداسة الزواج . ولكنه يلجئ الزوجين إلى الحيلة للتخلص منه أمام القانون . وإن كانت أظهر من أن تنفعهم في التخلص منه أمام الناس . الطلاق في الإسلام مشوه مكروه . لأنه أبغض الحلال إلى الله كما قال النبي (ﷺ) . وتُدفع هذه القسوة بما يستطيع من عمل الزوج والزوجة . وعمل الأسرة والقادرين في هذا الأمر على الهداية والإصلاح . فإذا أُحِلَّ بعد استنفاد الوسائل

المستطاعة.. فما حل آخر يغني عنه. وما من تحریم له.. إلا وهو أشد قسوة. وأقل نفعاً من التحليل^(١).



ولأن الموقف حساس.. والمسألة مسألة حياة أو موت.. كان لابد من ضمانات وآداب تحمي الطرف الضعيف:

وهو المرأة.. ومن هنا جاء قوله (ﷺ): «استوصوا بالنساء خيراً»^(٢).
لا يكفي أن تكون مبادرة العطف عليهن فردية متناثرة هنا وهناك، وإنما.. لا بد أن تكون «ظاهرة» عامة.. يتحمل المجتمع مسؤوليتها. ذلك بأنهن أسيرات:

والذي أعطانا إياهن بكلمة الله.. هو الذي يحذرنا بكلمته أيضاً.. حتى لا نقع في شرك الظلم.. بسوء استخدام حق أتيح لنا.. نعمة منه (سبحانه).



ألا وإن حساسية الموقف لتُلقي بِظِلِّها على قلب المرأة التي تغادر اليوم عُسْها.. بعد ما كانت فيه آمنة مطمئنة.. وقد تنطلق الألسنة بعد ذلك جاعلة من الحبّة قبة.. مما قد يؤخر فرصة زواجها من آخر يمتد في فراغها.. أو يذهب بالفرصة.. فلا تجيء..

ومن الناحية النفسية.. فإن المرأة التي تودع حياتها اليوم واقعة تحت ضغط نفسي ثقيلة.. ومن هنا قالوا:

(١) المرأة في القرآن (١٠٠/١٠١).

(٢) متفق عليه.

(أعزب دهر.. ولا أرمل شهر).

لقد ذهب الرفيق.. فضاع من قدمها الطريق!

وما قيمة العيش في غياب الرفيق..

إن الله (عز وجل) يقول على لسان امرأة فرعون: ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ [التحریم: ١١]، إن أملها الأكبر ينحصر في أن تكون «عنده» (سبحانه) ويأخذ نعيم الجنة مرتبة تالية!

•••

ثم يقول (سبحانه): ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾ [الزخرف:

٧٠]، إنه لا قيمة لنعيم.. بلا صاحب.. يقاسمك هذا النعيم.. إنه

بالرفيق الصالح «دهر عسل» لا شهر عسل!

•••

والإسلام العظيم يقف إلى جانب المرأة في لحظة ضعفها هذه.. جبراً

لخاطرها.. وتقديراً لظروفها.. وليبقى خط الرجعة قائماً.. ودائماً..



إنسانية الإسلام من خلال تشريع الطلاق

﴿وَالْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

•••

ذكرت الآيات السابقة الأمانة المنوطة بالرجل في حال الإيلاء، في قوله (تعالى): ﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ...﴾ [البقرة: ٢٢٦] أي: للذين يحلفون على هجران أزواجهن بعدم مباشرتهن... عليهم أن يتربصوا: أن ينتظروا مدة أربعة أشهر... تُحسم بعدها القضية: فإما فراق... وإما وفاق... .

وهذه المهلة مشروعة ليتجرع فيها الزوج كأس الصبر... بمغالبة نفسه كما تفيد مادة «التربص»: فحروف التربص مقلوب حروف الصبر!!

•••

والآية التي معنا تذكُر الأمانة المنوطة بالمرأة وهي: تربُّصُها ثلاثة قُرُوء... .

﴿وَالْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ...﴾ [البقرة: ٢٢٨].

والنص الكريم يطالعنا بأمور تؤكد إنسانية الإسلام، وحرصه الشديد على استقرار الأسر... لتظل مشدودة الأزر... قوة البنیان:

أولاً: التربص مضاف: مرة إلى الرجل... ومرة إلى المرأة... ويعني هذا: الدعوة إلى السَّتر في كل ما يتعلق بالأسر... التي ينبغي أن تكون أسرارها طيَّ الكتمان... وليست على كل لسان... وذلك بتكفل الرجل... .

والمرأة معاً . . مباشرة التبرص . . بعيداً عن ساحات المحاكم . . وما قد يحدث فيها من إذاعة الأسرار . على مرأى ومسمع من الناس : يقول البقاعي في ذلك : ويعني هذا (إجراء أمور النكاح على سِتْرَةٍ وإعراض عن حكم الحكام . من حيث جعل التبرص - لها وله - والفئ منه .

فكان الحكم من الحاكم إنما يقع على من هَتَكَ حُرْمَةَ سِتْرِ أحكام الأزواج التي يجب أن تجري بين الزوجين من وراء سِتْر . كما هو النكاح الذي هو سبب جمعهما ، ليكون حكم السر سراً ، وحكم الجهر جهراً).



ثانياً: من نعمة الله (تعالى) على الأسرة أنه لم يجعل (سبحانه) الأمر بـ: قاطعاً يقع فيه الفراق أو الوفاق بالكلمة القاطعة المانعة . . ولكنه (سبحانه) شرع لهما من الزمن مدة كافية لمراجعة النفس . وحساب الأرباح والخسائر . . وهو نفسه المعنى الذي تشير إليه مادة الكلمة «الطلاق» والتي تعني :

إطلاق الشيء من اليد . . على أنه يمكن استرداد هذا الشيء بعد إطلاقه . . وذلك معنى العدة . . التي ليس من الضروري أن تكون نهاية المطاف . . بل ربما كانت بدايةً لمرحلة جديدة . ثم إنها المدة التي يوشك صبر المرأة عن زوجها ينفذ . فإن من رحمة الله (تعالى) بها أن جعل لها موعداً . . لا يرهق أعصابها . . ولا يفلت زمامها من يدها .



ثالثاً: أن المراد «بالمطلقات» في الآية الكريمة هن :

(المطلقات الأزواج . . اللاتي تحقق فيهن معنى الزوجية . وعهدن أن يكن مطلقات . . وأن يتزوجن بعد الطلاق وهن الحرائر) وهذا ما قاله

الإمام . . ثم أتبعه بتلك اللمحة الإنسانية . . التي يحتكم فيها إلى دلالة السياق على أن العجوز اليائسة غير داخلة فيهن . . وقد علل على ذلك بقوله: (فإن اليائسة من شأنها ألا تُطلق. لأن من أمضى زمن الزوجية مع امرأة حتى يئست من المحيض . . كان من مقتضى الطبع والفطرة . . بل ومن أدب الشرع والدين . . أن يحفظ عهدها. ويرعى ودّها . . بإبقائها على عصمة الزوجية . . وإن كان بعض السفهاء لا يحترمون تلك العشرة الزوجية الطويلة . . ولا يراعون ذلك الميثاق الغليظ . . فيقدموا على طلاق اليائسة).

ولك أن تتصور عجوزاً . . يدعُها رفيقها دعا . . لتغادر البيت . . فتترنح خطاها وهي تتجاوز عتبة بيت بنته على أكتافها لنجمع عليها هوان السن . . وهوان الطلاق . . وكان الظن أن نحفظ لها حياءها . . بعدم تعريضها لهذا التبدل الذي كان جزاء سنمار!!



ورابعاً، إن الآية الكريمة تعظ المطلقة أن تظل في الموقف الأفضل محتفظة بكرامتها وعزتها: إن الزوج المطلق قادر على أن يتزوج بأخرى في نفس اللحظة التي طلق فيها . . أما الزوجة . . فإن الشرع لا يعطيها ذلك الحق . . وإذن . . فربما تسرعت . . وحاولت أن تسبق رزقها . . متشوّقة إلى زوج جديد . . تغايط به رفيق الأمس . . وربما تحايلت . . أو تمايلت . . أو خضعت بالقول . . حتى تلفت إليها النظر . . يحملها على ذلك تصورها لموقف مطلقها . . والذي يتأهب اليوم لصيد جديد . . وقد ينتهزها الشيطان المريد فرصة ينفث فيها سمومه . . بإيهامها أن تكون زوجة لآخر . . وعليها أن تسابق المطلق . . لتسبقه . . وتجيء الآية الكريمة لتربط على قلبها . . لتثريث . . وتتحمل . . وكل آت قريب . . فأرزاقنا . . كأجالنا . . تطلبنا . .

وهي أتيّة لا ريب فيها. يقول صاحب المنار:
(وفي التعبير بقوله (تعالى): ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ﴾) من الإبداع في
الإشارة. والتزاهة في العبارة. ما عهد في كل القرآن. . ولم يبلغ مراعاة
مثله إنسان: فالكلام في المطلقات. . وهن معرضات للزواج. وخلو من
الأزواج. والأنسب فيه: ترك التصريح فيه بما يتشوفن إليه. والإكتفاء
بالكتابة عما رغبن فيه. (وعليهن أن يملكن رغبتهن ويكففن جماح أنفسهن
إلى تمام المدة المحدودة والعدة المعدودة. ولكن بطريق الرمز والتلويح. لا
بطريق الإبانة والتصريح).



لحظة الفراق بين تصفية الحساب.. وتصفية النفوس

يقول الله (عز وجل): ﴿وَالْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

تمهيد:

إذا قلت لصاحبك يوماً (رحمك الله) فأنت واثق بالإجابة.. كأن الرحمة حدثت بالفعل.. وأنت تخبر عنها.. ومن ناحية أخرى فهو لون من التفاؤل.. لا تحسه إذا جئت بصيغة الأمر فقلت: أطلب الرحمة.. فإذا قلت لولدك: افعل كذا.. فإنه أمر.. ومادام أمراً فهو عرضة للامتنال.. وللاحتياال، أما إذا قلت: ولدي يفعل الحسن، فأنت بإيثارك صيغة الخبر على صيغة الأمر يتحقق ما يلي:

الثقة به.. وأنه أهل لذلك.. ثم هو حض له على المسارعة بالالتزام. والأصل في ذلك قوله (تعالى): ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضَعْنَ...﴾ [البقرة: ٢٣٣] لم تقل الآية الكريمة: ليرضعن.. بالأمر، وإنما تفاؤلاً، وثقة: تتحدث عنهن كأنهن يُرضعن فعلاً.. وليست هناك مشكلة!

نفس هذا المعنى نلاحظه في قوله (تعالى)، وفي الآية التي نحن بصدد التعليق عليها: ﴿وَالْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ﴾ [البقرة: ٢٢٨] فالأصل هنا هو الأمر هكذا [لِيَتَرَبَّصْنَ...] لكن الحق (تعالى) جاء به (سبحانه) على صورة الخبر [يتربصن] (تأكيداً للأمر، وإشعاراً بأنه مما يجب المسارعة إلى امتثاله) فكانهن امتثلن فعلاً، ثم يخبر عنهن بذلك، ثقة بالنساء..!

وهي لفظة قرآنية تُعلي من شأن المرأة التي هي دائماً عند حسن الظن بها، وتُحبط في نفس الوقت تلك الرؤية المتشائمة للمرأة التي يظلمونها حين يصورون الأنوثة وحشاً كاسراً يدمر الحياة، فقد زعم الزاعمون .
أن الأنثى، وَحْشٌ يَنْقَضُ عَلَى الفريسة بلا هوادة، فأثنى العقرب وأنثى العنكبوت، وبعض إناث السمك، كلها، تتربص بالذكر، ثم تقتله!! وهكذا المرأة لأنها أنثى! لكن القرآن الكريم بهذه اللفظة الإنسانية يصحح صورة المرأة في أذهاننا وقلوبنا. بهذه اللمسة الموحية. فكأنها جاهزة للامثال، وليس من طبعها قتل الرجال.. وإنما هي جزء من القضية.. تسهم بدورها.. في تجاوز المحنة بسلام.. مشمولة بثقة وطيدة في حكمتها.. قبل الطلاق.. وبعد الطلاق.. وإنها لا تفعل شيئاً خارج التوقعات.. ومع أنها تعيش لحظة اليأس العقيمة فإنها تفعل ما تؤمر .



إن الزوجين يعيشان الآن لحظة حاسمة.. وقاصمة في نفس الوقت: فها هي ذي أيامهما الجميلة تسقط في آبار الزمن.. ولكن تبقى لها في القلوب جراح.. وتفتتح النوافذ أمام تغيرات واحتمالات.. لا ندرى عَقبَها .



ولا تأمرها الآية بمحاولة التودد إلى من يدمر حياتها.. حتى يرحمها.. لكنها مأمورة بأن تسهم بدورها.. حتى يتجاوز الزورق المضيق.. ولا مجال لليأس من المستقبل.. وليبق الأمل في التجديد قائماً.. إنها محاولة «التسريح بإحسان» تسهم المرأة في صنعها بالتحمل والمصابرة.. وهو ردع لهؤلاء الذين يحرصون على أن يجعلوا من لحظة

الفراق مآتماً وعويلاً: اللائي لا يتربصن مُضيَّ مدة العدة بسلام . . بل يتربصن بالطرف الآخر الدوائر . . في محاولة لتشويه الآخرين . . هدماً للماضي برمته! مع أن . . المطلق ما زال . . مُسلماً . . له حقوقه التي يجب الحرص عليها . .



ومن بلاغة الآية الكريمة: أن تحيء على هذه الصيغة ﴿والمطلقات يتربصن﴾ وليس: [يتربصن المطلقات] ذلك بأنك لو قلت: كتب زيد . . فقد ذكرت الفاعل مرتين: ذكرته باسمه الصريح أولاً . . ثم بضميره المستكن آخر الجملة . . ﴿والمطلقات يتربصن﴾ يقول التوحيدي: (وبناؤه على المبتدأ مما زاده فضل تأكيد: ولو قيل: (يتربصن المطلقات) لم يكن بتلك الوكادة . . وهو كلام حسن . . وإنما كانت الجملة الابتدائية فيها زيادة توكيد . . على جملة الفعل والفاعل . . لتكرار الإسم فيها مرتين: أحدهما بظهوره . . والأخرى بإضماره . . وجملة الفعل والفاعل يُذكر فيها الاسم مرة واحدة) ومن فوائد التعبير [بأنفسهن] أن تباشر المطلقة مهمة التربص بنفسها . . ولا تنيب عنها من يقوم بالتربص . . وهي لفظة تراعي موقف المطلقة الطامحة إلى عش جديد . . والتي ربما حملها ذلك على التسرع . . والتساهل . . فكان لابد من إضافة هذا التوكيد الذي يجعل من مباشرتها التربص بنفسها أمراً جازماً لازماً . . لا يجوز الترخص فيه . .



وننتهي مع المفسرين من هذه اللمحات البلاغية . . ولكن يبقى في القلب مزيد من الإجلال والهيبة لهذا القرآن العظيم: الذي يقف إلى جانب المطلقة في ساعة العسرة . . حتى تخرج من التجربة المرة . . سالمة غائمة . .

وإذا كان الزوج الفاشل يقول: (التوفيق بين وجهتي النظر معناه: ألا تأخذ
بواحدة منهما..) إذا كان يقول ذلك مما يتسع به الخرق على الراقع فإنما
يعبرون عن أهوائهم.. ولكن الاسلام العظيم له منطق آخر.. يفتح به
الطريق إلى تجربة أخرى.. يجدد بها الأمل.. ويُصلحُ العمل.



بعيداً عن المهاترات

يقول الله (عز وجل):

﴿وَالْمُطَلَّاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

كان لفظ «المطلقات» في مقدمة الآية الكريمة . . إشارة إلى أن القضية تهم المرأة بالدرجة الأولى، فلتكن مهمة التربص إليها وحدها، لأن الزوج لا تعنيه القضية بنفس النسبة، بل في إمكانه أن يتزوج أخرى - الآن - وعند نفس موثق الطلاق، وفي ذكر «النفس» تهيج للمشاعر، وإثارة للكامن هناك في القلب من أحاسيس الكرامة، وكأنها رسالة موجهة إلى المرأة تقول لها: إن نفسك طموحة إلى زوج آخر، ولكن إذا كان من حقك أن تفعلي شيئاً، فإنه الطموح، وليس الجموح!

ومنطق العزة يقول: من تركنا فلتتركه!

نستدبره، اتكالا على الله (تعالى) ولكن بلا مهاترات ومشاجرات، وإنما هو الوقار الذي يجعل من عودة الرفيقين إلى الوفاق ممكناً غير مستحيل . .

إن التربص يعني: الترقب، واجتماع الذهن، واليقظة، وما يشي به ذلك كله من صمت لا نُعكره باللفظ النابي، أو الحركة الطائشة، والتي قد تنسف فرصة التفاهم، والعود الحميد إلى الصفاء من جديد .

فلتستبعد المرأة تلك الأفكار السوداء، والتي تناوشها من قريب، ذاكرة أن الله (سبحانه وتعالى) أنزل لنا الحديد، ولكنه لم يصنعه لنا سيوفاً!

وهو (سبحانه) الذي أحَد لنا الحدود، لكننا نحن المسؤولون عن الحفاظ

عليها، وتفعيلها لتكون واقعاً ملموساً ..
 أجل: لقد مضى السبت، وكان الحدُّ في الأحد!!، لقد وافت ساعة
 الصفر، وها هو ذا الفُلك على وشك الرحيل، ومضت أعوام السرور، كأنها
 أيام .. وانصرمت أيام الهم .. كأنها أعوام .. فماذا علينا اليوم؟
 علينا أن نلتزم بحدود الله (تعالى).



إن الزوج .. ما زال مؤمناً .. والزوجة كذلك .. مؤمنة .. فكيف يدب
 الخلاف بينهما .. ولديهما من أسباب الوفاق ما هو عصي على الفناء:
 كلمة التوحيد .. لا إله إلا الله .. ووحدة الكلمة .. ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ
 جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، فلماذا يتحول الأمر بالطلاق إلى ما
 يقوله الشاعر الياش:

(تضيّق بنا الأرض ..
 تحشرنا .. في الممر الأخير ..
 فنخلع أعضاءنا كي نمر ..
 نسير إلى بلد ليس من لحمنا ..
 ليس من عظمنا ..
 نسافر كالناس .. لكن لا نعود إلى شيء ..
 أصبحنا نعانق جلاذنا كي نفوز برحمته ..
 هناك ليل أشد سواداً ..
 هنا ورد أقل ..
 لم نعد نُودّع فقط ما فات .. وما مات ..
 بل أصبح علينا ..

أن نودع ما سوف يأتي).

•••

إن هذه النظرة التشاؤمية للحاضر والمستقبل . . مرفوضة باسم الإسلام،
لقد وقع الطلاق فعلاً، ولكن من هو المسئول؟
المسئول هو: من أساء استعمال الحق . .

•••

وصحيح أن عقد الزواج قام على ثنائية التكوين، مع اتحاد حركة
الزوجين صوب الهدف تماماً كالليل والنهار . . فالطبيعة مختلفة، لكن الحركة
في اتجاه الهدف . . إنهما يتكاملان . . وفي النهاية هما معاً، لمصلحة
الإنسان . وكذلك الزوجان . .

لكن ذلك لم يتم . ومن التسليم بقضاء الله (تعالى) ألا نُضِيع أيامنا في
البحث عن من المسئول، فكلنا ركاب سفينة غرقت، وبفعلنا جميعاً . .

•••

إن الحساسية المفرطة قد تفوز في دمائنا، فنفعل ما لا يليق بنا، وكان
الأعرابي الأمي أعرف بشئون الحياة منا . . هذا الأعرابي الذي سمع قوله
(تعالى): ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدَّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾ [التوبة: ٩٧]، فانتفض الرجل وهب
مذعوراً، لكنه سمع في نفس اللحظة من يقرأ قوله (تعالى): ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ
مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [التوبة: ٩٩]، فقام مسروراً وقال:

الله أكبر: هجانا . . ثم مدحنا . .

هجوت زهيراً . . ثم إني مدحته . .

وما زالت الأشراف: تُهجى وتُمدح . .

وإذن فلماذا لا نخفف من الإحساس بالذات . . ذاكرين أن ما حدث

هو قضاء الله .. وأنه (تعالى) كما جمعنا .. فقد فرقنا .. وهو (سبحانه) في
الحالين حكيم لطيف يجمع، ويفرق، طبق حكمته البالغة: ويوم لنا ويوم
علينا - ويوم نساء .. ويوم نسر .. فلنرض بحكمه ثقة بحكمته!



وقد كنت أحضر بعض هذه المجالس الحساسة، فيرو عني السبابُ
المتبادل، والذي لا يستهدف القضاء على أسباب العلة، وتجفيف منابعها،
وإنما هو محاولة التشويه، والفناء في وجهة النظر الذاتية.



وما زلت أذكر ذلك الزوج الذي انتفخت أوداجه معتزاً بأنه طيب
السيرة التي تُروى بكل لسان .. وسارت بذكرها الركبان ..
وتحيته اللطمة المسكتة من زوجته التي ترد عليه قائلة:
ما يهمني أن تكون لكل الناس .. وفي عيون كل الناس .. إنما أريدك
رجلاً عادياً .. ولكن لي .. وحدي .. فبهت الذي افتخر!!



المطلقة عند حسن الظن بها

يقول الله (عز وجل):

﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾
[البقر: ٢٢٨].

عندما تكون القضية من شأن الرجل، فهو وحده القادر على تحمل تبعاتها. . المؤمن على الوفاء بها. . وبنفس القوة: إذا كانت القضية نسائية فإن المرأة هي المؤتمنة على حراستها وتحمل تبعاتها. ففي «الإيلاء». وعندما يقرر الزوج عدم مباشرة زوجته لسبب ما، فالأمر عندئذ إلى الزوج، أما هنا، فإن القضية بيد الزوجة المؤتمنة على إعلان ما خلق الله في رحمها. ويعني ذلك: أن المرأة أمينة في قضية هي وحدها المرجع الأخير فيها، والقول فيها ما قالت حذام، وإذا قالت حذام فصدقوها.



والمتوقع كتمانها هنا هو: الولد. . وقد يكون ذلك بالإجهاض، استعجالاً للخلاص، أو دم الحيض، تطلعاً إلى فراش جديد وزوج جديد، والتحذير من الكتمان له ما يسوغه، (فالنساء أرغب في العودة من الرجال، مع ما بهن من النقص في العقل والدين، فكان ذلك ربما حملهن على كتم ولد، لإرادة زوج آخر: تقصيراً للعدة، وإحاقاً للولد به).
وهكذا قال المفسرون. . قال سليمان بن يسار،

(لم نؤمر أن نفتح النساء، فننظرَ إلى فروجهن، ولكن وكِلَ ذلك إليهن إذ كنَّ مؤمنات).



ولاحظ أن من تكريم المرأة أن يقال عنها:
﴿وَلَا يَحِلُّ لَهَا أَنْ يَكْتُمَنَّ...﴾ [البقرة: ٢٢٨]. ولا يقول سبحانه: [يحرّم عليك الكتمان] مثلاً، إنك قد تقول لرجل ظالم: أنت كاذب، وقد تقول له: هذا كلام يجافي الصدق، والفرق واضح، ولفظي. لكن المعنى واحد، والسياق الكريم هنا يرحمها فيطوي اللفظ الذي قد يصدم مشاعرها، إثارةً للفظ الودود الذي يحرك المشاعر برفق ولين، وذلك رفقاً بالقوارير في أشد اللحظات حرجاً حتى لا نجمعَ عليها همين: هم الفراق وهم الخطاب!
فإذا استيقظت مشاعر المرأة من رقادها. . واجهها النص الكريم بما يلهب هذه المشاعر وذلك قوله (تعالى): ﴿إِنْ كُنْ يَؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [البقرة: ٢٢٨] إنه لون من التهيج - لبيان خطورة الأمر - وبالتالي ضرورة الالتزام.

فالحرف «إن» يدل على الشك، وعندما تحس المؤمنة بأن إيمانها يأتي في معرض الشك، فإن ذلك مما يثيرها لتَهَبَّ في عملية استجابة بهذا الإيمان الذي يوشك أن يذهب به الإعصار!!
يقول بعض الباحثين:

(والتركيز على أهمية الإيمان بالله وصفاته والإيمان بالغيب والآخرة أمر ضروري حين يراد تطبيق منهج إلهي، يحكم سلوك الناس، ويقيم واقعهم على وفقه).



إن الزوجة قد تظن أنها في هذه اللحظة حرة في أن تفعل ما تشاء، على الأقل حفاظاً على كرامتها التي تظن أنها تمتهن الآن، ولكن السياق يؤكد لها أن كل حركة لها، إنما هي جزء من عقيدتها وأنها إذا كانت تؤمن بالله واليوم الآخر فعلاً، فيجب عليها أن تتصرف بوحى من هذه العقيدة، وأن تتجنب كل ما لا ينسجم معها. . وإن بدا هيناً.



وهنا نذكر ملامح المنهج الإسلامي في التربية، والذي غاب من حياتنا، فتراكمت في غيابه المشكلات، يقول نفس الباحث:

(. . .) وقد أمضى الرسول (ﷺ) ما يزيد على عشر سنوات في إرساء دعائم الإيمان بهذه الحقائق وتدعيمها، وصرف الله (سبحانه) الآيات فيها تصريحاً، حتى إذا ثبتت الدعائم، واستقرت الأركان، نزلت الأحكام تترى، وهي توجب أو تحلّ أو تحرم، فوجدت آذاناً سميعة، وقلوباً واعية، وأرضاً خصبة طيبة، أحسن إعدادها لتقبل التشريعات، فما كاد يلقي فيها البذر، حتى انشق عنها الزرع، ثم كان استواؤه ونماؤه: ﴿كَزَرَ عَ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سَوَاقِهِ﴾ [الفتح: ٢٩].

وهكذا يربي الإسلام المسلم: يقوي إرادته، ويوقظ مشاعره، ثم يُعينه على نفسه بإيجاد المجتمع الصالح، والبيئة الطيبة التي تتخذ شعارها ليكون: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.



إن الجنين في بطنها، ليس من عملها وإنما هي فقط وعاء له ومستقر. والله (تعالى) هو الخالق. . وقد نتعجل وضعاً ربما كان ضاراً بنا، من حيث كانت العجلة مانعة من التبصر، وتقدير العواقب.

وعلى الطرف الآخر، لا ننسى مهمة الزوج وأهله معه، ليكون الوفاء رائدهم مع من كانت واحدة منهم يوماً، إنها اليوم تجتر ذكرياتها، ولسان حالها يقول: تعبت.. تعبت.. أما من نهاية وما من وصول؟ لدربي الطويل لأية غاية! أجر السنين، ودربي يطول!



إنها اللحظة التي تمتحن فيها الرجولة، والتي يثبت الزوج فيها أنه كان وفياً، أمس.. وغداً، وفي السراء والضراء.. ذلك الزوج الذي:
 إذا حاورته.. وجدته عليماً..
 وإن خيرته.. كان حكيماً..
 وإن غضب.. كان حليماً..
 وإذا ظفر.. كان كريماً..
 وإذا وعد وفّى.. وإن كان الوعد عظيماً..
 وإن شكى إليه.. كان رحيماً



مانعة الصواعق «أ»

كان طبيعياً أن تندب «المطلقة» حظها بينما زميلاتنا ناعمت بالعيش الرغيد في بيت سعيد، لكن غير الطبيعي أن يتحول الموقف «نياحة» تنادي بالويل والثبور وعظائم الأمور، ونحن مأمورون بالتخفيف من حدة هذا التوتر، إراحة لأنفسنا: وهو ما تخيله الشاعر «جبران» عندما حاور الزهرة التي بللها الندى، والتي قال لها: لماذا تبكين؟ قالت: لأن الإنسان يقطع رؤوسنا! يخرجنا من أرضنا، يعُب من رحيقنا، ثم بعد ذلك، يدوسنا بقدميه، يرمي في النهر الطهور بما يقصم الطهور!



وهو النموذج نفسه الذي اخترعته مخيلة «المعري» على لسان امرأة تندب حظها العاثر، من خلال حوارها مع النحلة الهائمة، والتي تقول لها: لمن تعملين أيتها النحلة؟ لمن تكسين؟ يجيئك من يستخرج العسل بآلته، ثم يلحق هذا العسل.. بينما أنت مستكينة لا تلسعين!



ولكن المرأة العاقلة تلعق جراحها، وفي اللحظة التي يقول لها زوجها: أمرك بيدك! .. فإنها تقول له: قد كان أمري في يدك عشرين سنة.. فحفظته.. فلا أضيعه أنا.. في ساعة واحدة!، وقد رددته عليك.. فأمسكها!!



لقد عزم الرجل الطلاق، وطوَّحَ بخُمس قرن من الزمان، في بئر الزمان، ولكن الزوجة كانت أذكى منه، وأحرص منه على حياة لا ينبغي أن تبدد هكذا، وبالضربة القاضية! لقد جمعت أطراف حكمتها، فكانت ذلك النجم في أفقه العالي:

ألا وإن في أعماقها كالنجم.. حريقاً.. لكنها قررت أن تكون بالحكمة نوراً، يثبت الله به الخطى على الطريق الطويل..
لقد جاء الرجل كالعاصفة الهوجاء كشحنة كهربية تدمر كل شيء، لكنها كانت مانعة الصواعق، التي امتصت تلك الغضبة المضرة الهاجمة!



وصحيح أن هناك حالات نفسية قد تحمل الزوج على أن يجعل غزله من بعد قوة أنكاثاً..

ولأن كلمة الطلاق لا تضر الزوج وحده، فإن على الزوجة عندئذ أن تحسن التعامل مع الموقف القاسي. ومن حسن التعامل، أو من حسن التبعّل: أن تتجاوز لحظة الصبر، إلى مرتقى «الاصطبار»..

أن تتجرع الكأس، وإن كانت شديدة المرارة، من أجل أن يكف الزورق عن الترنح، ويستقرّ به النوى على الشاطئ الآمن.. سالمًا.



وقد يفجّر فينا ذلك الموقف العاقل معنى من معاني الحكمة الإسلامية، والتي وجّهت الزوج إذا قرر الفراق.. أن يكون ذلك في طهر لم يباشر زوجته فيه..

ماذا؟

إن صحة الزوجة عندئذ: النفسية والجسمية تكون مختلة بل معتلة..

وذلك أثر من آثار الحيض الذي قالت الآية الكريمة فيه: ﴿قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَاعْتَزِلُوا
النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، إنه أذى، يسقط منه ظل قائم على
«مزاج» البيت العام، ومن آثار ذلك خللٌ في الأقوال وخطل في الأفعال..
لكن منطق الزوجة هنا كان دليل صحة نفسية، أتاحت لها أن تحسم
القضية بهذا المنطق البليغ.. المسكت!، ويمكن أن يكون رسالة موجهة إلى
الزوج أن يتخير الوقت المناسب.. ربما إذا انتظر حلول هذا الوقت المناسب
ألا يجد ما يغضبه!!



على أن للقضية جانباً آخر، ربما فرضه على الزوجة هنا أن تكون أكبر
من الموقف برُمته:

فقد يكون لها أولاد، فهي تُرغم نفسها على تجرع الهوان من أجل
«عزة» أبنائها، وفي الوقت الذي يبدو فيه الزوج عاصفة، بلا عاطفة، كأنما
هو الحاكم المطلق، في هذا الوقت بالذات، توافيه تلك النسمة البليلة،
العليلة، والتي تؤكد أن المرأة في ضعفها، قد تكون أقوى من رجلها!!



ومن ناحية أخرى:

فلو وقع الطلاق، وكان الفراق، لا نعكس الحدث على قلوب الصغار
غيماً قائماً، لا يزول..

ذلك بأن للبيئة العامة.. والبيئة الخاصة آثارهما على زغب
الحواصل،، من أكبادنا:

وخذ مثلاً على ذلك:

إن الطفل الفرنسي.. يولد.. وعليه من «شك» ديكارت برهان..

والطفل الإنجليزي.. يولد.. وعليه من واقعية «يكون» أمارات..
والطفل الألماني.. يولد.. وعليه من شخصية «كنت» سمات
وقسمات..

وإذا كانت للبيئة العامة هذا الأثر.. فكم يكون للبيئة الخاصة؟
كم يكون للأسرة من خطر؟ مما يفرض على الزوجين كليهما أن يتدبرا
قبل اتخاذ القرار فراراً من النار:
نار الدنيا.. قبل نار الآخرة. وأنه ليس ضرورياً أن يكون المرء ضد أي
شيء.. وإنما هو الحرص على التفكير في جوهر المشكلة.. انتظاراً للفرج.
أما بعد...



فإن موقف الزوجة التي ردت بحكمة على زوجها.. من شأنه أن يَهْزُ
ضمير أخت لها.. لم تحسن التعامل مع زوجها لحظة الغضب.. فطلقها.
وكأنما تقول لها:
إن الزوجين المؤمنين.. عندما يعتصمان بالحق.. فسوف يواصلان
الرحلة من جديد..
فإذا عاندت المرأة.. فإن الزوج لم يطلقها..
وإنما طلقها الحق الذي تجهمت له. في الوقت الذي أحبطت فيه أخت
لها كيد الشيطان:
بجرعة حلم.. ردت بها كيد الشيطان.
وجرعة صبر.. تجاوزت بها الأحزان.



مانعة الصواعق «ب»

يقول (عز وجل):

﴿... وَبَعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا﴾ [البقرة: ٢٢٨]

والبعولة تعني احتياج المرأة إلى الرجل الذي يشبه النخل البعل الذي يشرب بعروقه مستغنياً عن البستاني، وإذا كان هو أحق بردها.. فإن ذلك مشروط، بكونه يريد الإصلاح..

(وهذا تنبيه على أنه: إن لم يرد الإصلاح.. وأرادت هي السراح.. كان في باطن الأمر زائناً..).



قال العلماء:

(.. والإصلاح لخلل ما بينهما.. أحق في علم الله وحكمته من افتتاح حياة ثانية.. لأن تذكر الماضي يخل بالحاضر)



فإذا انقضت العدة.. صارت أحق بنفسها منه.. لانقضاء حقه.



على أن التصريح بالإيمان بالله واليوم الآخر.. في ﴿إِنْ كُنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [البقرة: ٢٢٨] له دلالاته. فيما ذكره العلماء: (أي: فإن كتمن شيئاً من ذلك. دل على عدم الإيمان. وفيه إشعار بإثبات نوع نفاقٍ على الكاتمة ما في رحمها).



ونعود إلى القصة من أولها:

[هذا فارس الأحلام قادم.. يمتطي صهوة جواد أبيض.. كما تصورته
البنات.. زمان!!

ومع فارس الأحلام.. طاب الكلام.. وطاب المقام.
ثم تبدأ المعاشرة بالمعروف.. والمعاشرة تعني الاحتكاك.. ومعنى
الاحتكاك: أن تنطلق شرارة.. تضيء.. ولا تحرق.

ثم تبدأ المشكلات.. مع غروب الشخصية الوردية لفارس الأحلام..
وفي أغلب الأحيان تكون المشكلات سهلة.. ميسورة الحل.. ولكن بعض
الناس لا يملكون من الشفافية ما يستعملون به على الواقع الطارئ.

ثم.. تجيء ساعة الصفر.. ويتفق الطرفان على.. على الطلاق! ولكن
الإسلام المسموح.. يُبقي على الباب مفتوحاً.. ليظل طريق العودة لاجباً.
فقد يكون هناك تحت الرماد.. وميض نار!.. لعل هناك في القلب
من الود القديم بقايا.. تؤكد أن ذلك الود.. وإن تجمد يوماً.. فإنه.. لا
يموت أبداً.

إن الإسلام متحيز للعلاقة القديمة أن تعود بل وأرقى مما كانت..
والإصلاح.. إصلاح العلاقة الأولى.. أولى من السراح! والإبقاء على
الزوج الأول.. أفضل من الاستفتاح مع زوج جديد.. ذلك بأن تذكر
الماضي مع الزوج الجديد.. يكدر الحاضر.. طبق القاعدة القائلة: (تذكر
الماضي.. يخل بالحاضر).

دواء الصبر:

والأزواج - على أي حال مكلفون بالصبر.. يتجاوزن به المحنة
الطارئة.. وكفى بالصبر دواء وشفاء:
ورحم الله القائل:

صَبَّرَ النفس عند كل ملَم
لا تضيقن في الأمور فقد
ربما تجزع النفوس من
قد يصاب الجبان في آخر
الصف.. وينجو مُقارع الأبطال
إن في الصبر حيلة المحتال
يُكشَف لأواؤها بغير احتيال
الأمر: له فرجة كحل العقال



ومن المفيد هنا أن نختم الحديث بموقف تستحيل به المعاني السابقة إلى
حقيقة واقعة.. نستبين بها الوفاق بين الرفاق حتى نشد إلى مثله
الرحال.. متجاوزين صغار الآمال: كان العز بن عبد السلام كريماً: ومن
كرمه أن زوجته أعطته ذهباً ليشتري به بستاناً.. ليصيفوا به.. ولكن الرجل
تبرع بثمرته في سبيل الله.. فلما سألته قال: اشتريت به بستاناً في الجنة!!
فقلت: جزاك الله خيراً!!

لقد كان (العز) في.. العزة.. بناءً عتيداً.. ثم كان في السخاء..
بحراً مديداً!

وكان مع زوجته ذلك التفسير العملي لسنة رسول الله (ﷺ): لقد كان
(العز رحمه الله تعالى): تلاءً لكتاب الله.. أماراً بالمعروف.. نهاء عن
المنكر.. ومن هذا المنكر ما تنوء به الأسر اليوم من إحجاف بميزانية البيت
إرادة «التصيف».

ولم يكن قصاراه أن ينهي.. ولكنه قبل ذلك انتهى.. وقد تمت النعمة
بزوجة.. أعانته على أمر الله.. ومن كان كذلك.. ألهمه الله تقواه.



وإذا كان قد أعجبك السخاء . . والوفاء . . فليكن عجبك أكبر . . بل إعجابك بهذا الزوج الذي لاقى من زوجته العذاب ألواناً . . ولما أُشير عليه بتطليقها . . رفض . . محتجاً بأنه تعودّ على إساءتها . . وربما تزوجها من بعده من لا يطيق عدوانها . . وإنه لَيُفْضَلُ أن يغيّر عادة إحصانه إليها . . حتى لا يغير الله (نعالى) إحصانه إليه .



أريحية البعولة ... لا غشم الفحولة!

يقول (عز وجل):

﴿... وَبَعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا﴾ [البقرة: ٢٢٨].

قد تكشف «العدة» عن نقص في وعي الزوج صاحب القرار.. قرار الطلاق.. وذلك حين تهدأ الأعصاب.. وتنحسر غشاوة الانفعال.

تنحسر عن قرار مبتسر.. فطير.. غير مدروس.. ولا مأتوس... لأنه يرفض العودة إلى مائدة المفاوضات.. ماضياً بالعلاقة الزوجية إلى حافة بركان من التوتر.. تنعكس آصاره على أفراد الأسرة جميعاً.. لقد «سك» قرار الطلاق.. فصار في وهمه «عملة» يصعب محو نقشها!.. حين تصور الاختلاف بينه وبين زوجته اختلاف مصير.. بينما هو في الواقع اختلاف رأي.. أو رؤية.. إنه تداخل الآراء.. وتشابك المصالح.. إنه إذن التداخل.. وليس هو التقابل.. ولا التقاتل.. ومن ثم.. يمكن فض هذا الاشتباك حين نتجاوز السيف.. إلى الحوار.. والكلمة الموجهة.. إلى الكلمة المقنعة.. ليتبين لنا أن الطلاق لم يكن معركة حاسمة.. وإذا الأحباب كل في طريق.. وإنما المقام للمصابرة.. والإبقاء على كُوة من الأمل مفتوحة.. مدركين أن الزواج شركة تملكها معاً.. ويعني ذلك أننا شركاء.. لا أعداء.. ونحن مطالبون بمواجهة عدو مشترك هو الشيطان.. بدل أن نبدد طاقتنا في لحظات يمتزج فيها الواقع بالخيال.. والأرواح بالأشباح.. نبحث عن عدو.. لا وجود له إلا في خيالنا.. ومن صنع أوهامنا!

البعولة.. لا الضحولة:

إن بعض الأزواج قد يتصرف بمنطق الفحولة.. بمعنى: أنه يتصور نفسه مركز الكون.. وعلى كل من في البيت أن يدرو في فلكه.. إلى الحد الذي إذا عطس.. فإن الزوجة يجب أن تصاب بالزكام؟! وإلا.. فالموت الزؤام! ولكن تكاليف «البعولة» لها مذاق آخر:

إن «البعل» من النخل ما نما بذاته.. مستغنياً عن البستاني.. والزوج في هذه اللحظات العصبية.. هو بعل.. هو تلك الشخصية المستغنية عن هذه الزوجة الضعيفة.. فَلنُفْسَحْ للأريحية مكاناً في قلوبنا.. وذلك ما تستهدفه الآية الكريمة حين تلوح بالرجعة.. بالعودة إلى العش المهجور.. وأن ذلك هو الاحتمال السائد، وما سواه فهو الاستثناء من القاعدة.



إنه.. مهما اتشحت سماء البيت بالسواد.. فإن خيوط الضوء.. نَفَّاذة.. قادرة على أن تطرد الظلام.. وإذا جعل الآية الكريمة حق العودة ملكاً للزوج.. فلن يكون ذلك افتياتاً على حق الزوجة.. ولا نقصاً في كرامتها.. لأن منافع العودة لن يستأثر بها الزوج وحده.. وإنما هي مقسومة على الإثنين.. وعلى سواء.. بل ربما كان نصيب الزوجة أربى من الزوج نفسه.. من حيث ضعفها.. وحاجتها إلى الستر.. فراراً من السنة الشامتين والعاذلين.



القاعدة.. والاستثناء:

الأصل إذن ألا يكون طلاق بالمرة.. فإذا حدث ووقع المحذور.. فإن طريق العودة يظل مفتوحاً.. وخط الرجعة قائماً.. حتى تذهب السكره..

ونجى الفكرة .

وتأملوا معي قوله (تعالى) (بعد الآية التي نحن بصدد التعليق عليها):
﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَكَحَّ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا
إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٣٠].

إن الآية الكريمة تتحدث عن موقف بلغ التوتر فيه منتهاه . . وذلك
عندما يعزم الرجل على الطلاق للمرة الثالثة . . وما يترتب عليه من فصام . .
بعد الخصام . . تأملوا:

إن الزوج الأول ما يزال على الساحة . . ينتظر غائباً يوشك أن يعود . .
والغائب هي زوجته . . التي تتحدث عنها الآية في عصمة زوج آخر . .
(زوجاً غيره) . ومع اشتراط عقد النية على زواج دائم . . لكن الآية الكريمة
تعتبر الزوج الثاني «شخصية غير مرغوب فيها» لأنه لم يكد يظهر على
المسرح حتى تفاجئنا الآية الكريمة قائلة: ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾ أي: إن طلقها الزوج
الثاني . . إنه وإن كان زوجاً شرعياً . . لكنه ضيف . . أو سحابة صيف . .
واحتمال تطليق زوجته قائم . . لتعود مرة أخرى إلى العش القديم . . والود
القديم . . شريطة العزم الأكيد على إقامة حدود الله (تعالى) . . بتلافي
الصغائر التي وصلت بنا إلى ما لا نريد .

وفي ذلك ما فيه من حفاظ على كرامة المرأة التي يصون القرآن الكريم
. . كرامتها حتى لا تمتهن من جديد . .

إلى جانب ما شرعه الحق (تعالى) الذي جعل حق الرجعة بيد الزوج .
والذي يشهد على نفسه بأنه هو الذي طلق . . وهو الذي يراجع . . فهو
السبب فيما كان . . وليست لها حيلة فيه! لتظل على عرشها أبداً:

مطلوبة .. لا طالبة .



أما بعد

فقد انتفض الفتى المغرور من المجلس رافضاً مبادرة الصلح .. بحجة
أنه ابن «الأصول» .. وقلت له يا ابن الأصول: أعد نظراً فيما حدث:
لقد كانت زوجتك بالأمس القريب تهدهد وليدك قائلة:
هل من أبٍ مثل آبائك؟!
لقد عَمَّمُوا بالشمس .. هاماتهم ..
وَبَنَوْا أبياتهم .. بالشهب ..
فماذا هي قائلةٌ له اليوم؟ أين الهامات .. وأين الأبيات؟! لا بد من
الرجعة .. وإن أبعدت النُّجعة!!

